دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

| | |
|---|---|
| العنوان: | التضامن العربي و الأمن القومي |
| المصدر: | مجلة البحوث والدراسات العربية |
| الناشر: | المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - معهد البحوث والدراسات العربية |
| المؤلف الرئيسي: | رياض، محمود |
| المجلد/العدد: | ع 17,18 |
| محكمة: | نعم |
| التاريخ الميلادي: | 1990 |
| الصفحات: | 5 - 20 |
| رقم MD: | 133496 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| قواعد المعلومات: | EcoLink |
| مواضيع: | الاتفاقيات العربية، العالم العربي، الأمن القومي، التضامن العربي، الولايات المتحدة الأمريكية، الصراع العربي الاسرائيلي، قرارات مؤتمرات القمة العربية، الحروب الصليبية، الامة العربية، الاستعمار، التعاون العربي، جامعة الدول العربية، الوحدة العربية، الوحدة المصرية السورية، حرب يونيو 1967م، حرب اكتوبر 1973م، قمة الخرطوم اغسطس 1967م |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/133496 |

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

# التضامـــن العربـــى والأمـــن القومـــى

أ . محمـــود ريـــاض (*)

**مقدمـــــة :**

إن الحديث اليوم عن التجارب الماضية من أجل تحقيق التضامن العربى ، بعيدا عن الانفعالات الشديدة التى تسود الأمة العربية قد تساعد المواطن العربى على الخروج من الحيرة القاتلة التي تنتابه حاليا وهي حيرة اعترف بأنني لم اتخلص منها بعد . إذ أنني لم اشاهد خلال عملي الطويل في المجال العربى هذا الكم الهائل من الخلاف والصراع العـربى خصـوصا عندما يتحرك جيش عربى لأحتلال بلد عربى وتتحرك قوات عربية لمواجهة قوات عربية أخرى ويفتح المجال للتدخل الأجنبى بعدما كنا نقاومه وكنا نؤمن ولازلنا نؤمن بأن إسرائيل تشكل أكبر تهديد للأمن العربى مما جعلنا نجمع على ضرورة قيام اتفاق عربى يضمن التوازن الإستراتيجي مع العدو الأمر الذى يستدعى منا تضامنا حقيقياً .

والأحداث الأخيرة التى أدت إلى تحركات الجيوش العربية لتواجه بعضها البعض جعلت الأمن العربى مهددا من داخل الأمة العربية. أما اسرائيل فلم تعد فى حاجة إلى القيـام بعـدوان عاجل لتنفيذ مخططها التوسعى فما عليها سوى انتظار إنهاك القوات العربية لبعضها البعض وزوال التضامن العربى لتتحرك في الوقت المناسب فتقطف ثمرة التفرغ للقضاء على الانتفاضة التى أصبحت فى زوايا النسيان إزاء النزاع العربى الحالي .

وقـد نجحت اسرائيـل في وضـع خطتها منذ قرن من الزمان ومازالت ماضية في تنفيذها . أما الولايات المتحدة فقد قررت سياستها في المنطقة في المذكرة التي اعلنتها في شباط ( فبراير ) سنه ١٩٥٥ وهى لاتزال تعمل بها على اساس السيطرة على مقدرات الأمة العربية وتأمين اعتراف الدول العربية بدولة اسرائيل .

وأما نحن العرب فلا نحتمل الاستمرار فى اتفاق يقره الزعماء العرب لأكثر من بضعة أسابيع . وعلى سبيل المثال هذا النص الذى ورد فى قرارات القمة في بغداد يوم ٣٠ أيار ( مايو ) ١٩٩٠ :

---

(*) الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية .

« ان مؤتمر القمة ادراكاً منه للمخاطر التى يتعرض لها الأمن القومي العربى وأمن كل بلد من البلدان العربية الشقيقة ، وعلى ضوء التهديدات الاسرائيلية المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية والموجهة ضد الأمة العربية ( ... ) وانطلاقا من ادراكه أن دعم الانتفاضة المباركة والحفاظ على أمن كل بلد عربى وسيادته ضد أي عدوان أو تهديد يتطلب حشد طاقات البلدان العربية وتحقيق التكامل فيما بينها وتوظيفها في خدمة مصالح الأمة العربية وحقوقها وأهدافها فى الازدهار والرقى وفى جو من السلام والأمن ( ... ) .

يقرر المؤتمر على الصعيد العربى :

١ ـ العمل على تنقية الاجواء العربية للبناء والتضامن والتكامل العربى الحقيقى المعبر عن وحدة الأمة والمنطلق من مصالحها المشتركة والموحدة .

٢ ـ ضرورة اتخاذ التدابير الفعالة لتوفير الامكانات الدفاعية اللازمة لمواجهة المخططات العدوانية والتوسعية الاسرائيلية ، والتحديات التى تتعرض لها الدول العربية وذلك التزاما بميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى العربى ... »

ان من يقرأ هذه القرارات لايتصور انها صادرة عن الزعماء انفسهم الذين صنعوا الاحداث الأخيرة فى المنطقة والذين شاركوا فى انتهاك التضامن العربى وتعطيل العمل العربى المشترك .

وعند الحديث عن مستقبل العمل العربى المشترك لابد من القاء نظرة على الخطوات التى سبق واتبعتها الدول العربية فى هذا المجال ومدى النجاح أو الفشل الذى واجه الأمة العربية ، وكذلك النظر فى الأوضاع الحالية العربية ، باعتبارها نقطة الانطلاق نحو التضامن العربى فى المستقبل .

لقد خضنا فى الماضى تجارب كثيرة لا يمكن لنا تجاوزها بل يجب أن ندرسها بهدف الخروج منها برؤية تساعدنا على إيجاد المسار السليم للعمل العربى المشترك بالرغم من الأحداث الجسام التى تمر بها الأمة العربية الآن .

وتاريخ الأمة العربية مليء بالعبر والدروس . فالانتصارات العربية جاءت دوما نتيجة لوحدة العرب ، وأثمرت هذه الوحدة التى تسودها اعظم عقيدةقيام دولة عربية كبرى وصلت حدودها إلى مشارف الصين شرقا واسبانيا غربا. ولم تبدأ الهزائم العربية إلا عندما تفرقت كلمة العرب وتشتت وحدتهم ، كما حدث عندما اجتاح الأستعمار

الأوروبى ، باسم الصليب ، الأراضي الفلسطينية واحتل القدس . ولم تتمكن الأمة العربية من التخلص من هذه الغزوة الضارية إلا عندما توحدت قواتها تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي .

وأدرك الانجليز والفرنسيون ، الذين ساهموا بأكبر قسط فى الحروب الصليبية ، هذه الحقيقة فعملوا على عدم قيام وحدة عربية على أنه صورة من الصور فى العصور الحديثة ونجد أن بريطانيا قادت مجموعة الدول الأوروبية لإرغام محمد على على التراجع عن محاولته لاقامة وحدة بين مصر وبلاد الشام . وخلال الحرب العالمية الأولى اتفقت فرنسا وبريطانيا على تقسيم العالم العربى فيما بينهما بموجب اتفاق سايكس ـ بيكو ونقض الانجليز تعهداتهم بإقامة دولة عربية مستقلة موحدة مقابل تعاون العرب معهم فى حروبهم ضد القوات التركية لاخراجها من الاراضي العربية ولم تكتف بريطانيا بذلك بل عملت على غرس جسم اجنبى فى الوطن العربى بإقامة اسرائيل بهدف خلق حد يسرى بين مصر والمشرق العربى وأصبحت اسرائيل مصدر تهديد دائم للأمة العربية والحيلولة دون وحدتها .

وعلى الرغم من المؤامرات الأستعمارية الساعية إلى اخضاع الدول العربية لسيطرتها والحيلولة دون نهضتها ، فإن فترة مابين الحربين الأولى والثانية شهدت حركات استقلالية فى الدول العربية . وأستطاعت بعض الدول العربية في المشرق العربي الحصول على الاستقلال ، وإن كان هذا الاسَتقلال قد ظل منقوصا بسبب استمرار وجود القوات البريطانية فى بعض هذه الدول كمصر والعراق والأردن .

## التعاون العربى حقيقة تاريخية :

وبدأت المحاولة الأولى لتنظيم العمل العربى عام ١٩٤٣ عندما دعت مصر رؤساء الحكومات العربية للتشاور والبحث في التعاون العربى . وانتهى الأمر إلى تشكيل لجنة تحضيرية برئاسة النحاس باشا وعضوية رؤساء الحكومات العربية لوضع بروتوكول الاسكندرية عام ١٩٤٤ الذي كان الأساس لميثاق جامعة الدول العربية ، وتم توقيعه فى اذار ( مارس ) عام ١٩٤٥ . فكان ذلك بداية للعمل العربي المشترك المنظم .

وعلى الرغم من أن الميثاق جاء قاصرا عن تحقيق أماني الشعوب العربية إلا أنه كان خطوة إيجابية في سبيل اقامة تنظيم عربي تتعاون الدول العربية من خلاله في كل المجالات .

والحقيقة المؤكدة أن التعاون العربى كان قائما بالفعل قبل قيام جامعة الدول العربية . وذلك انطلاقا من الشعور بالانتماء العربى وقد شهدت فترات كثيرة من التاريخ العربى مساندة الدول العربية لبعضها البعض فى حركاتها التحررية ، وأقوى مثال على ذلك المؤتمر الشعبى الذى انعقد في بلودان عام ١٩٣٧ وأطلق عليه اسم المؤتمر العربى القومى الذى ضم الكثيرين من الساسة والمناضلين العرب من معظم الاقطار العربية وكان هدفه الأساسي تأييد القضية الفلسطينية .

تبع ذلك المؤتمر الرسمى الذى عقد في لندن فى شباط ( فبراير ) ١٩٣٩ وحضرته وفود عربية من المملكة العربية السعودية والعراق ومصر واليمن والأردن لمساندة الوفد الفلسطينى في مطالبته باستقلال فلسطين ، وكان من نتاج هذا المؤتمر العربي صدور الكتاب الأبيض من الحكومة البريطانية برئاسة نيفل تشمبرلين وأعلن فيه تشكيل حكومة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنوات ، يساهم العرب واليهود في حكومتها ، كما أوضح الكتاب الأبيض أن الوطن القومي لليهود لايعنى إقامة دولة يهودية ، وهي السياسة التى تراجعت عنها حكومة حزب العمال في اجتماع مماثل بين الوفود العربية والحكومة البريطانية تم عقده في لندن عام ١٩٤٧ وكانت حجة مستر بيفن وزير الخارجية البريطاني ان الكتاب الابيض صدر عن حكومة المحافظين . وكان التراجع يستهدف العودة إلى مشروع التقسيم وقيام الدولة اليهودية بالاتفاق مع الولايات المتحدة .

## جامعة الدول العربية والقضية الفلسطينية :

وعندما التقت الدول العربية في أول تنظيم عربى وهو جامعة الدول العربية ، كان شاغلها الأساسي تأييد مطالب الشعب الفلسطينى في الحصول على استقلاله ورفض قيام الدولة اليهودية . وبرغم وحدة الموقف العربي صدر قرار التقسيم عام ١٩٤٧ من الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وكان ذلك ايذانا ببدء العصابات اليهودية في ارتكاب المذابح ضد الفلسطينيين واقتلاعهم من قراهم واراضيهم لتوطين المهاجرين اليهود الجدد مكانهم . وهو ماتقوم به حاليا اسرائيل بعدما تم الاتفاق بين الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة على فتح باب الهجرة لملايين اليهود الروس إلى اسرائيل . والفارق بين عام ١٩٤٧ وعام ١٩٩٠ أن العصابات الصهيونية كانت تقوم عام ١٩٤٧ بطرد العرب من اراضي الدولة اليهودية حسب قرار التقسيم فلجأ معظمهم إلى الضفة الغربية وقطاع غزة ، أما الأن فالخطة الاسرائيلية تستهدف تفريغ فلسطين من سكانها العرب حتى تستوعب المهاجرين الجدد من الاتحاد السوفياتى ، وتنفيذا لهذه الخطة تتم مصادرة الأراضى العربية وطرد

السكـان تدريجيـا خارج فلسطين واتباع ابشع وسائل الاضطهاد والتعذيب والتجويع للشعب الفلسـطيني لارغـامه على ترك الأرض والفرار الى الدول العربية المجاورة وإلى الاردن بالذات الذي يطلقون عليه « الوطن البديل » .

وفى عام ١٩٤٨ اضـطرت الدول العـربيـة لارسـال بعض قواتهـا إلى الاراضي الفلسـطينيـة لحمـاية الشعب الفلسطيني من المذابح التى ترتكب ضده بعدما تخلت بريطانيا عن مسؤولياتها في حماية الأمن وقررت الانسحاب فى ١٥ أيار ( مايو ) ١٩٤٨ ، وقبل تنفيذ قرار التقسيم بإقامة الدولتين الفلسطينية واليهودية : ولم تنجح القوات العربية المحدودة العدد في الحيلولة دون قيام الدولة اليهودية وإن كانت استطاعت الحفاظ على الضفة الغربية وقطاع غزة .

والأن تتكرر المأساة في شكل أبشع ، فاسرائيل لم تعد تكتفي بحدود الدولة اليهودية التى رسمتها لها الأمم المتحدة ، وأنما ترى أن حدود اسرائيل في المرحلة الحالية تضم كل الأراضي الفلسطينية وأنها لابد أن تنفذ اجراءات الضم متى وصل العدد الكافي من اليهود الروس وتفريغ الأرض العربية من سكانها العرب

والدول العربية تواجه حاليا مشكلة بالغة التعقيد خصوصا بعد التغيير الشامل في سياسة الاتحاد السوفياتي الذي سمح بالهجرة اليهودية ، والتي بدونها لايمكن لإسرائيل تنفيذ مخططها التوسعي الذي يعتمد اساسا على زيادة القوة البشرية اليهودية .

وهذا فضلا عن أن القوة البشرية اليهودية لها مصدران أولهما الهجرة ، وهذه كانت قد توقفت تمـاما ، فبلغ عدد المهاجرين إلى اسرائيل عام ١٩٨٨ حوالي ٢٥ ألف مهاجر يقابلهم عدد مماثل هاجر من اسرائيل . وثانيهما الزيادة السكانية ، وهي في حدود ١,٣ في المئة سنويا بينما الزيادة السكانية لدى الفلسطينين هي ٣ فى المائة سنويا ، أي أن استمرار هذا الوضع لبضع سنوات مقبلة سيجعل الاكثرية السكانية لعرب فلسطين . من هنا يتبين حجم الجهد المطلوب من الدول العربية لتثبيت أقدام الشعب الفلسطينى فى أرضه والعمل على التقليل من أخطار الهجرة الروسية .

ولاشـك أن الخطر الصهيونى بات يهدد الامن القومي العربى ككل وأن الواقع يفـرض على الدول العربية توحيد مواقفها السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وهو ما حاول الرؤساء العرب فى اجتماعهم في قمة بغداد اخيرا أن يؤكدوه . إلا أنه يحسن بنا أن نتذكر أن القادة العرب شعروا بالخطر نفسه على اثر قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ فوقعوا اتفاق الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى في ١٣ نيسان ( ابريل ) عام ١٩٥٠ .

وكـان هذا الاتفـاق خطوة متقدمة فى سبيل العمل المشترك خصوصا أن الدول العربية تنبهت إلى أهمية التعاون الاقتصادي فى مابينها ، وأقامت بناء على ذلك مجلس الدفـاع العـربي والمجلس الاقتصادي والاجتماعي . فكنا سباقين فى التفكير فى أهمية التعاون الاقتصادى العربى عن أى تكتل اقتصادي اجنبى إلا أننا توقفنا عند الاعلان عن الرغبة فى التعاون الاقتصادى ، ولم ننجح في تحويلها إلى تكتل اقتصادي فعال كما فعلت المجموعة الأوروبية . وعلى الرغم من توقيع الدول العربية على اتفاق الدفاع المشترك إلا انها لم تتمكن من اتخاذ الخطوات العملية لجعل الاتفاق قابلا للتنفيذ .

## محاولات الوحدة العربية فى مواجهة سياسة الأحلاف :

كان التفكـير العـربى يدور دائمـا حول الوحدة العربية كأساس للعمل العربى المشتـرك . ففي لقـاء رئيس وزراء سوريـة سعـد الله الجابرى ومعه جميل مردم وزير الخارجية مع النحاس باشارئيـس وزراء مصر فى عام ١٩٤٣ ، كان الوفد السوري يطرح موضوع الوحدة العربية على اساس ضرورة توحيد بلاد الشام التى جزأها الاستعمار وهى سورية ولبنان والاردن وفلسطين . وفى هذا اللقاء أكد استعداده للتعاون مع أى دولة عربية أخرى فى الشكل الذي ترضاه ابتداء من وحدة دستورية إلى تعاون عربى .

وقد تقدمت سورية فعلا عن طريق وزير خارجيتها السيد ناظم القدسي عام ١٩٤٩ ، بمذكرة إلى الجامعة العربية اقترحت فيها اقامة اتحاد فيديرالي بين الدول الاعضاء . ولم يكن هذا الاقتراح الوحدوي الأول من نوعه ، فقد سبقه اقتراح من نوري السعيد رئيس وزراء العراق بإقامة وحدة بين دول الهلال الخصيب تضم العراق وسورية والأردن . كما سبق وطرحت فكرة الوحدة الثنائية بين العراق والاردن أكثر من مرة على اساس توحيد العرشين الهاشميين .

كما كانت الوحدة بين مصر والسودان تلح في اذهان الكثيرين من السياسيين في مصر والسودان على أساس وحدة وادي النيل . كما كانت الوحدة بين شطري اليمن تدور دائما فى مخيلة المفكرين من أهل المنطقة ، إلى أن تحققت أخيرا . وكان الكثيرون من السياسيون فى الشمال الافريقى يتحدثون عن وحدة المغرب العربى الكبير .

وبذلك يتبين أن فكرة الوحدة العربية كانت تلح على اذهان السياسيين فى العالم العربى على اساس أن الوحدة هى السبيل لتحقيق أهداف الأمة العربية من القوة والعزة .

إلا أن العمل العربى المشترك لم يسـتطع أن يخطو خطوات عملية بالنسبة لقيام

تكتل عسكري عربى أو تكتل اقتصادي أو وحدة بين مجموعة من الدول العربية ، بسبب المعارضة التقليدية لبريطانيا وهى السياسة التى ورثتها الولايات المتحدة باعتبارها القوة الجديدة التى أصبحت تباشر دورها في قيادة العالم الغربى ، وكانت سياستها تقوم على اساس ضم المنطقة العربية إلى نطاق الاحلاف الغربية وبقائها تحت السيطرة الغربية . وبدأت بالضـغط على الدول العربية من أجل قبول سياسة الاحلاف اعتبارا من عام ١٩٥١ .

وترتب على محاولات الولايات المتحدة المستمرة ، أن دعا عبد الناصر إلى إجتماع يضم رؤسـاء الحكومات العربية فى القاهرة فى كانون الثانى ( يناير ) ١٩٥٥ ، بهدف اتخـاذ موقف عربى موحـد إزاء هذه السيـاسة التى كانت تقتضي الاحتفاظ لبريطانيا بالقواعد العسكرية في مصر والعراق والأردن .

وقدم عبد الناصر فى هذا اللقاء ثلاثة اقتراحات :

أولا : رفض الانضمام للأحـــلاف الأجنبيـــة :

ثانيا : العمل على تقوية الجامعة العربية لتحقيق أهدافها .

ثالثا : اضفاء الفعالية على معاهدة الدفاع المشترك عن طريق إقامة قيادة عسكرية مشتركة .

إلا أن هذا اللقاء المهم لم يستطع الخروج بأى قرار بسبب اصرار نوري السعيد رئيس وزراء العراق على الانضمام إلى الحلف الغربى المقترح .

وعندما شعرت مصر بصعوبة تحقيق العمل المشترك لحماية الأمن القومي عن طريق عمـل جمـاعى داخـل الجـامعـة ، لجأت إلى توقيـع اتفاق ثلاثى يضم مصر وسورية والسعـودية . وهى الدول التى رفضت صراحة فكرة الاحلاف وسمى الاتفاق « الميثاق الثلاثي » ، وتم التوقيع عليه في أذار ( مارس ) ١٩٥٥ .

وكان الهدف الاساسي من هذا الميثاق إقامة قيادة عسكرية مشتركة . وعندما تعثر تنفيـذه تحـولت مصر إلى الاتفـاقـات العسكرية الثنائية ، فوقعت في ٢٠ تشرين الأول ( أكتوبر ) ١٩٥٥ اتفاقا عسكريا مع سورية ، وبعد اسبوع واحد وقع عبد الناصر والأمير فيصل اتفاقا عسكريا مماثلا .

وفي نيســان ( أبريل ) ١٩٥٦ عقد اجتماع في جدة ، ضم الملك سعود والرئيس عبد الناصر والامام أحمد أمام اليمن وتم التوقيع على اتفاق عسكرى ثلاثى .

وفى ٢٣ تشرين الأول ( أكتوبر ) انضم الاردن إلى الاتفاق العسكري المصري ـ السوري .

وقد علق بن جوريون على هذه الاتفاقات قبل العدوان الثلاثى بأنها تشكل طوقا حديديا حول اسرائيل يجب تحطيمه .

كان موقف الأمة العربية عام ١٩٥٦ عندما حدث العدوان الثلاثى على مصر ، يعبر بصدق عن وحدة المشاعر ووحدة المصير ، فقامت تظاهرات شعبية في مختلف أنحاء الوطن العربى تأييدا لشعب مصر ، واظهار الغضب للمعتدين بمختلف الوسائل ، بما فيها نسف أنابيب البترول البريطانية التى تمر عبر سورية .

كما اجتمع الرؤساء العرب فى بيروت فى ١٣ تشرين الثانى ( نوفمبر ) ١٩٥٦ وأعلنوا مساندتهم لمصر واعتبروا العدوان على مصر عدوانا على الأمة العربية كلها .

وتكرر هذا الموقف العظيم للأمة العربية في العام التالى عندما تعرضت سورية فى أيلول ( سبتمبر ) ١٩٥٧ ، لتهديد مباشر ، بسبب المؤامرة الكبرى ، التي اشتركت فيها الولايات المتحدة وتركيا ونوري السعيد في لقاء تم فى انقرة . وكان هدف المؤامرة الاطاحة بالحكومة الوطنية فى سورية ، وارغام سورية على الانضمام لحلف بغداد ، وقامت تركيا بتظاهرة عسكرية وحشدت قواتها على الحدود السورية ، وكان ذلك جزءا من الخطة التي تم الاتفاق عليها وهبت الدول العربية تعلن عن سخطها على هذه المؤامرة وتؤيد الشعب السوري .

وأعلن الرئيس عبد الناصر عن مساندته الكاملة لسورية ، وتأكيدا لهذا ارسل قوات مصرية إلى ميناء اللاذقية للانضمام إلى القوات السورية فى الدفاع عن الحدود السورية . وكانت المفاجأة التى قلبت الموازين فى المنطقة ، كما تحركت المملكة العربية السعودية تأييدا لسورية ، وقام الأمير فيصل بزيارة إلى واشنطن في ٢٣ أيلول ( سبتمبر ) ، كما زار الملك سعود دمشق يوم ٢٥ أيلول ( سبتمبر ) مؤكدا على تضامن المملكة مع سورية .

## مباحثات الوحدة المصرية ـ السورية :

كان لهذه المواقف العربية التى أكدت تضامن الدول العربية أثر كبير فى تراجع الدول المتآمرة وزيادة الوعى العربى بأهمية الوحدة العربية وأصبحت الوحدة العربية مطلبا شعبيا سوريا .

وكان الرئيس شكرى القوتلي قد سبق واقترح عام ١٩٥٦ قيام اتحاد فيديرالى تحت اسم « الدول العربية المتحدة » يضم مصر وسورية والدول العربية الراغبة فى الانضمام اليه ، على أن يشمل الاتحاد الشؤون السياسية والاقتصادية والعسكرية ويقوم المجلس التشريعى بانتخاب رئيس لمجلس الاتحاد كل سنتين ، واقترح أن تحتفظ كل دولة بنظام الحكم الداخلي الذي ترغب فيه مع احتفاظها بحق التشريع في كل المجالات التى لاتدخل في نطاق الاتحاد ، وأن تكون القوات العسكرية بمثابة جيش واحد .

وفى مطلع عام ١٩٥٧ سافر صبري العسلي رئيس وزراء سورية إلى القاهرة وتحدث مع عبد الناصر عن رغبة الحكومة السورية في البدء فى محادثات جدية من أجل اقامة وحدة بين مصر وسورية كبداية للوحدة العربية . وكان من رأى عبد الناصر في هذا اللقاء أن من الضروري التمهيد للوحدة عن طريق عقد اتفاقات في كل المجالات وتشكيل لجان خاصة تعمل على توحيد القوانين في البلدين ، وكان يعتبر هذه الخطوات ضرورية لأنها ستساعد على تقريب الاوضاع بين البلدين قبل إعلان الوحدة .

واوضح عبد الناصر لصبري العسلى أن الوحدة ستتعرض للمؤامرات من الخارج وأنها لن تكون محل رضاء من الغرب أو الشرق ، وأضاف أن اتمام الوحدة سيستغرق وقتا لايقل عن خمسة أعوام . إلا أنه كان هناك رأى قوي في الأوساط السورية يطالب بإقامة الوحدة الفورية على أن تتخذ أجراءات الوحدة فى ظل الدولة الموحدة .

وفى آب ( أغسطس ) ١٩٥٧ ، حدث تغيير جذرى في الأوضاع الداخلية السورية بتشكيل المجلس العسكري الذي ضم كل الكتل العسكرية وكان بمثابة مجلس ثورة فعادت الازدواجية إلى الحكم فى سورية . ورأى أعضاء المجلس أنه لاسبيل لتفادي الاخطار التي تتعرض لها سورية سوى الاسراع في قيام الوحدة ، وبناء على هذا الرأى سافر وفد عسكري إلى القاهرة في ١١ كانون الثانى ( يناير ) مطالبا بالوحدة الفورية ، وبعد لقاءات عدة مع عبد الناصر استجاب في النهاية للوحدة الفورية .

وتم إعلان هذه الوحدة في ٢٢ شباط ( فبراير ) عام ١٩٥٨ ، وكان يوما شهوداً فى التاريخ العربى بإعتبارها أول وحدة تتم فى العصر الحديث .

## تقييم الوحدة المصرية ـ السورية :

ولاشك أن الوحدة المصرية ـ السورية التى لم تصمد أكثر من ثلاثة أعوام ونصف العام وانتهت فى ٢٨ أيلول ( سبتمبر ) ١٩٦١ بقيام انقلاب عسكرى فى دمشق تحتاج

إلى الكثير من الدرس باعتبارها تجربة رائدة كان الهدف من قيامها سلامة الأمن العربى ورفاهية الشعب العربى .

وإذا كان يوم إعـلان الوحدة يوما مشهودا فى التاريخ العربى إلا أنه كان أيضا ايذانا ببداية المؤامرات الاجنبية ضد الوحدة العربية ، لأن نجاح الوحدة وامتدادها في المشرق العربي يعني تصفية النفوذ الاجنبى ويحول دون قيام اسرائيل بتنفيذ اهدافها التوسعية .

لهذا لم تتوقف المؤامرات بإعلان الانفصال بل كان على القوى الأجنبية المعادية أن تمنع تكرار هذه التجربة بل واقتلاع فكرة الوحدة من الذهن العربى ، وبعد الانفصال ازدادت التهديدات الاسرائيلية للدول العربية ، وبدأت اسرائيل بمباشرة تنفيذ مشروع تحويل مياه نهر الاردن إلى النقب ، وهو المشروع الذى اعتبره مجلس الأمن في تشرين الأول ( اكتوبر ) ١٩٦٣ خرقا لاتفاقات الهدنة يجب وقفه ، وبناء عليه تم وقفه بالفعل إلا أن اسرائيل عادت إلى استئناف أعمال التحويل بعد تراجع السياسة الاميركية وحصولها على ضمانات باستمرار تدفق المساعدات الأمريكية .

ولم يكن أمام الدول العربية فى ذلك الوقت سوى اتباع أحد امرين ، أولهما التدخل بالقـوة لمنع اسرائيل من الاستحواذ على مياه نهر الاردن وهو مالم يكن في قدرة الدول العربية عسكريا . وثانيهما قيام الدول العربية بتنفيذ المشروع العربى لاستغلال مياه نهر الاردن فى الأراضي العربية ، وكان ذلك هو الخيار الأفضل .

## سياسات القمة العربية :

اطلع عبد الناصر على توصيات رؤساء أركان حرب الجيوش العربية فى لقائهم في الجـامعـة العربية عام ١٩٦٣ ، بضرورة تنفيذ قرارات مجلس الدفاع التى صدرت فى حزيران ( يونيو ) ١٩٦١ بالتوصية بانشاء قيادة عربية مشتركة بهدف منع اسرائيل من تحويل مياه نهر الاردن ، ثم وجه الدعوة لعقد مؤتمر قمة عربى بدأت جلساته في ١٣ كانون الأول ( يناير ) ١٩٦٤ فى مقر جامعة الدول العربية . وأكدت القمة على ضرورة وجود قوة ردع عربيـة للدفاع عن الدول العربية عند تنفيذ المشروع العربى لاستغلال مياه نهر الاردن . واصدرت قراراً بانشاء قيادة عربية موحدة لجيوش الدول العربية .

وخصص الرؤساء ١٥٤ مليون جنيه استرلينى لشراء السلاح بالاضافة إلى نفقات اغاثة سنوية مقدارها ثمانية وعشرون مليون جنيه وقد خصصت هذه الأموال لسورية

والاردن ولبنان . أما مصر فلم تكن في حاجة الى مساندة مالية بل تعهدت بتقديم مساعدات عينية للجبهة الشرقية .

وعندما صدر هذا القرار رجعت بذاكرتى الى شريط الاحداث منذ عام ١٩٤٨ ، وتصورت اننا نجحنا فى النهاية فى تصحيح اخطائنا ووضعنا اقدامنا على بداية الطريق السليم لتحقيق أمننا ، وأن كل ما يلزمنا هو بعض الوقت لاستكمال قواتنا الدفاعية لتكون قادرة على ردع أى عدوان ضد الأمة العربية .

وصدر قرار آخر بانشاء هيئة عربية تشرف على تنفيذ المشروع العربى لاستغلال مياه نهر الأردن مع تخصيص الأموال اللازمة لبداية المشروع . كما صدر قرار مهم مهد لقيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وصدر قرار بتشكيل لجنة برئاسة الامين العام للجامعة وعضوية ممثلين عن الملوك والرؤساء لمتابعة تنفيذ القرارات الصادرة عن القمة . كذلك صدر قرار مهم للغاية يقضى بأن يجتمع ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية مرة فى السنة على الأقل .

كلما مرت الأيام بما تحمل من التجارب ازداد اقتناعا بأن احترام القرار الذى صدر عن قمة ١٩٦٤ ( انشاء الجبهة الشرقية وتخصيص المال اللازم لها ) كان ضروريا لضمان حسن العلاقات العربية وفض الاشتباكات التى تقوم بين الحين والآخر بين الدول العربية . وبعد مرور أكثر من ربع قرن نعود مرة أخرى لنؤكد فى قمة بغداد فى آيار ( مايو ) ١٩٩٠ على ضرورة اللقاء الدورى للرؤساء العرب . ويشير عدم احترام هذا القرار الذى سبق التأكيد عليه فى قمة الجزائر ١٩٧٣ ، الى وجود خطأ تنظيمى لم نتنبه اليه ويجب تصحيحه فى أول اجتماع لوزراء الخارجية .

وقد خرجت من لقاء قمة كانون الثانى ( يناير ) ١٩٦٤ ، وأنا شديد التفاؤل فقد وضعت الدول العربية حجر الأساس لصرح الأمن العربى والضمان العربى . الا أن تفاؤلى لم يستمر طويلا ، فسرعان ما بدأ سوس الخلافات ينخر فى هذا الصرح ، وهو فى بداية انشائه ليحول دون قيامه مما أدى الى فتح الباب على مصراعيه لتواصل اسرائيل تنفيذ مخططها التوسعى على حساب الشعب العربى .

## عدوان ١٩٦٧ :

وقامت اسرائيل بعدوان ١٩٦٧ ونجحت فى احتلال كل الأراضى الفلسطينية وسيناء والجولان ، بمعاونة الولايات المتحدة ، وأصبحت اسرائيل مصدر تهديد دائم لأمن الدول العربية .

وفشلت الدول العربية فى محاولاتها لردع العدوان الاسرائيلى . وقد شهد العالم العربى الكثير من التجارب لحماية الأمن العربى :

— جربنا صيغة التحالف العسكرى الثنائى ،

— جربنا صيغة التحالف العسكرى بين عدد محدود من الدول العربية .

— جربنا صيغة الوحدة الاندماجية .

— جربنا صيغة القيادة العسكرية المشتركة لكل الدول العربية .

وقد فشلت هذه التجارب ، الواحدة بعد الأخرى ، ولا يمكن أسناد هذا الفشل كله الى القوى الأجنبية المضادة . فنحن نعلم منذ البداية أنها تعمل ضد قيام وحدة عربية على أية صورة من الصور وبالذات الوحدة العسكرية .

لكن المؤامرات الخارجية لم تكن لتنجح فى تحقيق أهدافها لولا أنها وجدت بيئة مهيأة تسود فيها الخلافات العربية وتنعدم فيها الثقة بين القادة العرب ، مما أدى الى عجز الدول العربية عن حشد امكاناتها لتحقيق الأمن العربى .

وكانت هزيمة ١٩٦٧ بداية تنبه عربى للأخطار الجسيمة التى تتعرض لها الأمة العربية ، وجاء اجتماع قمة الخرطوم فى آب ( أغسطس ) ١٩٦٧ ايذانا ببداية تصحيح الاخطاء ، فأجمع الرؤساء العرب على انهاء الخلافات العربية وعقدوا النية على التعاون من أجل انقاذ الأرض العربية التى اجتاحتها اسرائيل .

وقررت السعودية والكويت وليبيا تقديم الدعم الاقتصادى لمصر والأردن لتمكينهما من الصمود الاقتصادى ، وبدأت مرحلة جديدة لاعداد الدول العربية لمعركة التحرير وهى **المعركة التى خضناها فى تشرين الأول ( أكتوبر ) ١٩٧٣** ، وحطمت فى أيامها الأولى أسطورة اسرائيل العسكرية .

وكان لابد من الاعداد السليم للمعركة التى قررت مصر وسورية خوضها سويا . وكان هذا الاعداد يرتكز على دعامتين : **الأولى** : حسم الخلافات العربية أو تجميدها على الأقل . **والثانية** : ان تقدم الدول العربية أقصى دعم عسكرى للجبهتين المصرية والسورية .

وقد قرر مجلس الدفاع العربى فى ٣٠ كانون الثانى ( يناير ) ١٩٧٣ وضع كل من الجبهات الشرقية والغربية تحت قيادة القائد العام للقوات المصرية ، وقامت كل دولة بتحديد القوات التى تضعها تحت أمر القائد العام للقوات المسلحة .

كما أقر المجلس البدء فى بناء قاعدة صناعية حربية ، وكان حشد الطاقات العربية يقتضى تضامنا عربيا قويا وعدم حدوث خلافات بين الدول العربية ، مما كان يستدعى التحرك بسرعة لتطويق الخلافات التى تنشب بين الدول العربية ، وكان من أهمها الخلاف الذى نشب بين الأردن من جانب وسورية ومصر من جانب آخر . واستغرق اصلاح الوضع جهودا متصلة الى ان تم لقاء ثلاثى بين الرؤساء الثلاثة فى القاهرة فى ١٠ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٣ أى قبل المعركة بحوالى ثلاثة أسابيع .

وعندما بدأت المعركة ساد التضامن العربى الساحة العربية وبدأت الدول العربية فى ارسال قواتها الى ساحة القتال ، واستخدمت الدول العربية المنتجة للنفط سلاح النفط ومنعته عن الولايات المتحدة شريكة اسرائيل فى العدوان . واستطاعت بذلك نقل المعركة الى مستوى دولى يتجاوز ميدان القتال مما كان له الأثر الكبير على اقتصاديات الولايات المتحدة وأوروبا الغربية . والواقع ان التضامن العربى فى هذه الفترة كان قد وصل الى ذروته وظهر فى أروع صوره ، وبخاصة بعدما لمست الأمة العربية الأداء الرائع للمقاتل المصرى والسورى فى مواجهة أحدث الاسلحة الامريكية التى تستخدمها اسرائيل .

## مرحلة التشتت العربى :

وانتهت المعركة بخروج مصر من المواجهة العسكرية بتوقيعها معاهدة الصلح مع اسرائيل ، مما أدى الى عزل مصر عن الدول العربية لفترة طويلة واحداث خلل فى التوازن الاستراتيجى العربى ـ الاسرائيلى . واجتمعت قمة بغداد فى تشرين الثانى ( نوفمبر ) ١٩٧٨ مستنكرة اتفاقات كامب ديفيد معبرة بذلك عن مشاعر غالبية المواطنين العرب .

وأصدرت القمة قرارا ايجابيا مهما للغاية بدعم الجبهة الشرقية المكونة من سورية والأردن والعراق ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وخصصت لها مبلغ ٣٥ بليون دولار يتم توزيعها على عشر سنوات . وهو مبلغ يعادل ثلاثة أضعاف ما انفقته اسرائيل فى الفترة نفسها . وكانت الجيوش العراقية والسورية والأردنية تشكل جبهة عسكرية تفوق القوات الاسرائيلية لو احسن تنظيمها .

وكان الهدف من هذا القرار هو قيام الجبهة الشرقية بحماية الأراضى العربية ضد الاعتداءات الاسرائيلية فى المرحلة الأولى ، على أن تبدأ قوات الجبهة الشرقية فى تحرير الأراضى العربية المحتلة عندما تستكمل مرحلة التسليح . وكالعادة كانت الخلافات العربية التى دبت بين أعضاء الجبهة وراء الحيلولة دون تنفيذ هذا القرار الحيوى ، وبذلك أثبتت الخلافات العربية انها أقوى سلاح تمتلكه اسرائيل .

ولم تتـردد اسرائيـل فى استغلال هذا الفشل العربى فقامت بالغارة على المفاعل النووى العراقى فى حزيران ( يونيو ) ١٩٨١ ، واجتاحت الأراضى اللبنانية فى السنة التالية فى حزيـران ( يونيو ) ١٩٨٢ ، ولا تزال تسيطر على جنوب لبنان ، وأغارت على الأراضى التونسية لضرب مقر المنظمة الفلسطينية . وأصبحت الساحة العربية مكشوفة تماما أمام العدوان الاسرائيلى ، فالأمن العربى لم يعد له من يحرسه أو يصونه .

وفى هذه المرحلة من التشتت العربى كانت الولايات المتحدة تسارع قبل أى اجتماع عربى بالاعلان عن رغبتها فى تحقيق السلام فى الشرق الأوسط كما حدث عام ١٩٨٢ ، عندما تقدم الرئيس الامريكى ريجان بمبادرة قبل اجتماع قمة فاس ، الا أنه لم ينفذ حرفا واحدا مما جاء فى هذه المبادرة لمجرد اعتراض اسرائيل عليها .

وعلى سبيل المثال ورد فى خطته ان الولايات المتحدة لا توافق على اقامة مستوطنات اسرائيلية فى الأراضى المحتلة ، الا أنه بعد صدور هذا الاعلان صادرت اسرائيل أكثر من خمسين فى المائه من أراضى الضفة الغربية ، وأقامت أكثر من مائة وخمسين مستعمرة جديدة عن طريق الأموال التى تقدمها الولايات المتحدة الى اسرائيل .

وفى عام ١٩٩٠ نقرأ التصريحات نفسها للرئيس الامريكى بوش مؤكدا اعتراض حكـومته على بناء المستعمرات الاسرائيلية فى الأراضى المحتلة ، الا أن هذا الاعتراض لا قيمـة له من الناحية العملية لأن تمويل بناء المستعمرات يأتى من الولايات المتحدة لتمكين اسرائيل من استقبال المهاجرين اليهود من روسيا .

ومـشكلة الشرق الأوســط منــذ عام ١٩٦٧ تتلخص فى مشكلة الأرض وتحقيق السلام . وكانت اسرائيل ترى فى عام ١٩٦٧ أن من مصلحتها إرغام الدول العربية على قبـول السلام معها مقابل انسحابها من الأراضى العربية ، مما يتيح لها حرية الحركة الاقتصـاديـة فى المنطقة العربية الأمر الذى يعود عليها بفوائد عظيمة . فطرحت مبدأ الأرض مقابل السلام ، وهو المبدأ الذى تبنته الولايات المتحدة نيابة عن اسرائيل ، وكان هذا المبدأ هو الأساس الذى بنى عليه مشروع دول امريكا اللاتينية فى تموز ( يوليو ) ١٩٦٧ أمـام الجمعيـة العامة ، وقرار مجلس الأمن ٢٤٢ فى تشرين الثانى ( نوفمبر ) ١٩٦٧ . ثم تراجعت عنه .

## العرب واسرائيل .. والسلام :

وقد رأت الدول العربية فى بداية الثمانينات التمشى مع الاعلان الامريكى عن مبدأ

الأرض مقابل السلام ، فأقر الرؤساء العرب هذا المبدأ فى لقائهم فى قمة فاس عام ١٩٨٢ ، ووافقوا على مبدأ السلام مع اسرائيل مقابل انسحابها الى خطوط ١٩٦٧ ، وبذلك تكون الدول العـربية فى هذا القرار قد تنازلت من الناحية القانونية عن المطالبة بحدود قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ .

وبالرغم من الموقف العربى الجماعى الذى يدعو الى السلام فان اسرائيل تجاهلته بعد أن أصبحت فى غير حاجة الى السلام طالما انها تستطيع فرض الأمر بالقوة وطالما انها تتمتع بمساندة امريكا الى اقصى حد سياسيا وعسكريا واقتصاديا . وفى مواجهة التخطيط الصهيونى المنظم أصبحت الدول العربية فى أمس الحاجة الى مخطط يحتاج تنفيذه الى سنـين طويلة ، الا أنه بقدر نجاحنا فى تحقيق تضامن عربى فعال يمكن اختصار هذه المرحلة ومدة تنفيذها .

ولا اعتقد أننا فى حاجة الى طرح افكار جديدة تتعلق بالأهداف فهى أمور ناقشها الرؤساء العرب منذ عام ١٩٦٤ ، حتى آخر اجتماع فى بغداد عام ١٩٩٠ بل وصدر الكثير من القرارات الحيوية رأى الرؤساء ضرورة تنفيذها لمواجهة التحديات التى تواجهها الأمة العربية .

واذا رجعنا الى قرارات القمة العربية السابقة سنجد انه لم تكن تنقصنا الرؤية السليمة لتحديد المخاطر التى تهددنا ، واستطاع الرؤساء وضع الخطط العملية الكفيلة بمواجهة هذه المخاطر . الا أن الخلافات العربية كانت وراء القضاء على كل الخطط التى وضعها الرؤساء ، بل وحالت دون عقد مؤتمرات القمة العربية الدورية .

ونحن مازلنا نعانى من التخلف السياسى ولا يمكن علاجه إلا بالاصرار على الحوار المستمر بين أصحاب القرار ، واجتماعات القمة تقدم أفضل فرصة لاجراء الحوار واحتواء الخلافات .

**والخلاصة** ، يمكننى القول أنه لا تنقصنا التجارب أو الدراسات حول كل المشاكل العربية امنية أو اقتصادية أو تنظيمية ، ونحن فى حاجة الى ارادة سياسة قوية لاختيار الطريق القومى على ضوء الخبرات الماضية ، وكنت اتمنى أن يكون اجتماع القمة الأخيرة فى بغداد بداية لوضع اقدامنا على الطريق السليم لتحقيق التضامن العربى المنشود .

الا أن النزاع الحالى الذى بدأ باحتلال القوات العراقية للأراضى الكويتية ترك جرحا عميقا فى مجال التضامن العربى الذى كان ما يزال يحبو . الأمر الذى يتطلب أولا ازالة

آثار هذا النزاع وعودة الأمور الى طبيعتها حتى يمكننا أن نبدأ فى البناء من جديد من أجل تضامن عربى لحماية أمن الأمة العربية ومواجهة التحديات الخارجية التى تهددها .

وعندما انظر الى واقعنا اليوم ، لا اجد بارقة أمل ولكنى لن أيأس من الدعوة الى التضامن العربى والتذكير بالأخطار . فهذا قدرى ، وهذا سر تفاؤلى الدائم برغم الغيوم السوداء التى تخيم على سماء الأمة .

* * *

# ARAB SOLIDARITY AND NATIONAL SECURITY

By Mohamoud Riyad(*)

This paper reviews in depth the National Arab experience of fostering co-operation and solidarity within the Arab World, throughout the last four decades. The personal experience of the author who held the office of Secretary General of the League of Arab States for approximately eight years, portrays the various concerted endeavours to put the ideology of Arab Nationalism into practice.

The role of the League of Arab States as regards the Palestinian question was the cohesive force behind the attempt to fulfill the national aspirations of the Arab Nation. The paper analysis in details the Arab joint action towards the Palestinian problem, confrontation of foreign defence alliances and the support of bilateral and multilateral endeavours for unity. In this respect, the Egyptian - Syrian unity has been assessed.

The paper deals also with the Arab Summit conferences, with special stress on their positive role in alleviating dangers to national security during times of crises.

* * * * *

(*) Former Secretary General of the League of Arab States.